

أحوال المعلم و المتعلم و طبيعة العلاقة بينهما وطرق تمويل التعليم حتى نهاية القرن السابع الهجري وإمكانية الإفادة منها في التعليم المصري الحديث

أ.د / راشد صبري القصبي
أستاذ أصول التربية
ورئيس جامعة بورسعيد سابقا

أ.د / مصطفى رجب
أستاذ أصول التربية والعميد الأسبق
كلية التربية بجامعة سوهاج

أحمد عزيز عبد العزيز ندا
باحث دكتوراه بكلية التربية جامعة بورسعيد

تاريخ استلام البحث : ٩ / ٤ / ٢٠٢٣ م

تاريخ قبول البحث : ٣ / ٥ / ٢٠٢٣ م

البريد الالكتروني للباحث : ahmad.azzez@edu.psu.edu.eg

DOI: JFTP-2304-1282

المخلص

المعلم / آداب العالم في نفسه ومراعات طالبه ودرسه أن يصون العلم كما صانه علماء السلف رضى الله عنهم. أن يتخلق بالزهد في الدنيا. آداب العالم في درسه أن لا يطيل تطويلا يمل ولا يقتصر تقصيرا يخل ويراعى في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة . أدب العالم مع طلابه مطلقا وفي حلقة. أن يسمع بسهولة الإلقاء في تعليمة وحسن التلطف. أن يطلب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات و يمتحن ضبطهم بما قدم لهم. المتعلم / أدبه في نفسه أن يقسم أوقات ليلة و نهاره ويغتتم ما بقى في عمرة و أجود الأوقات للحفظ والبحث الإبداع وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل. أدبه مع شيخه أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المربي أو متربعا بتواضع و خضوع و سكون وخشوع تمويل التعليم وطبيعته ١- الإنفاق الحكومي ، اتخذ إنفاق الدولة على التعليم عدة أشكال منها : النفقة على تاديب أولاد الخلفاء، أجور ومكافآت العلماء والفقهاء، هبات الخلفاء للشعراء والأدباء ، النفقة على المؤسسات التربوية، الإنفاق على تدوين العلوم، الإنفاق على الترجمة ٢- إنفاق العلماء لقد أسهم العلماء بتمويل التعليم مساهمة كبيرة ٣- إنفاق الطلاب لقد أدى حرص الطلبة على طلب العلم إلى بروزهم كمصدر من مصادر تمويل التعلم مثل : الجمع بين الدراسة والعمل في إحدى المهن للاتفاق على أنفسهم ٤- الإنفاق من الهبات والإعانات لأن التمويل الحكومي لم يكن منظماً وكافياً بالنسبة للتعليم خامسا: الإنفاق من الوقف ، ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الوقف فقال : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

الكلمات المفتاحية : المعلم ، المتعلم ، تمويل التعليم

The conditions of the teacher and the learner , the relationship between them , the methods of financing education until the end of the seventh century AH and the possibility of benefiting from them in modern Egyptian education

ABSTRACT

The teacher / the etiquette of the scientist in himself and taking into account his student and his lesson to preserve knowledge as the scholars of the Salaf, may God be pleased with them, preserved it. To create asceticism in the world. The etiquette of a scholar in his study is not to make it too long or boring, and not to be too short, which will prejudice the interest of those present. The world's literature is with its students at all and in its circle. To hear easily the diction in instruction and good pronunciation. To ask the students at times to return the archives and test their control over what was presented to them. The times are for memorization and early research, for writing in the middle of the day, for reading and studying at night. His etiquette with his sheikh is to sit in the hands of the sheikh in the etiquette session as a boy sits in the hands of the educator or crouched in humility, submissiveness, silence and reverence. Education funding and its nature 1- Government spending, the state's spending on education took several forms, including Expenditure on disciplining the children of the caliphs, wages and rewards of scholars and jurists, gifts of the caliphs to poets and writers, alimony on educational institutions, spending on codification of science, spending on translation. Seeking knowledge to their emergence as a source of funding for learning, such as: combining study and work in one of the professions to agree on themselves 4- Spending from gifts and subsidies because government funding was not organized and sufficient for education Fifth: Spending from the Endowment, and the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, urged the endowment and said: "If a person dies, his deeds are cut off from him except for three, except from ongoing charity, beneficial knowledge, or a righteous son who prays for him."

KEY WORDS :The teacher, learner and education funding

تمهيد :

لم يعد دور المعلم في عصرنا الحاضر قاصراً على نقل المعارف والخبرات إلى الناشئة وتهيئة الظروف التي يتم فيها تعلمهم ، وإنما تعاضم دوره إلى الحد الذي أصبح فيه ممثلاً لثقافة المجتمع ، ناقلاً لقيمه الثقافية ، راعياً لنمو أفراده ومن ثم صار دور المعلم هو الدور الأعظم أهمية والأكثر فعالية من بين عناصر العملية التعليمية جميعاً ، بل لعل عناصر التعليم من منهج وكتاب ووسائل ومعينات وغيرها تفقد أهميتها إذا لم تصادف معلماً فعالاً ، ينفث فيها من روحه فتسرى فيها الحياة وتنبعث فيها الحركة والنشاط ولعظم دور المعلم في إيجاد فرص تعليمية أفضل للطلاب ولتأثيره القوي في الناتج التحصيلي لهم في المستويات المعرفية والنفسية ، لكن مهمة المعلم المدرسي تتعاضم لأنه الشخص المختار لعملية التعليم المنهجية، والتي يمرُّ بها معظم الناس، إن لم نقل كلهم، فأبى فرد من أفراد المجتمع لا بدَّ أنه تلقى نوعاً من التعليم، ومرَّ بمرحلة من مراحلها، فالمعلم تتخرج من خلاله قطاعات المجتمع، كلٌّ في تخصصه وفيه الذي اختاره أو اختير له ، وغالباً ما تكون عملية التعليم توارثاً بين المعلم والمتعلم، فمتعلم اليوم سيكون معلم الغد، كما أن معلم اليوم كان متعلماً بالأمس، وهكذا فهي عملية متوارثة، يتعاقب عليها كثير من الناس ، والمعلم - أيضاً - هو معلم من وجهه ومعلم من وجه آخر، حيث يقوم بتزكية نفسه وعلمه ومهاراته بجهد الذاتي، إضافة إلى وجود من يشرف عليه ويتابعه وينمي قدراته ومهاراته، ويسدّد خطاه نحو الطرق التعليمية الصحيحة .

أولاً : المعلم

لقد عنى الإسلام عناية كبيرة بالمعلمين ، حيث اهتم العرب بتلقي العلم عن المعلمين وكرهوا أن يتلقى طالب العلم من الكتب وحدها ، وكان قولهم "أعظم البلية تشيخ الصحيفة" أي أن يتعلم الناس من الكتب . (ابن جماعة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٨٧)

وقد ذكر الزرنوخي أنه قد ورد في أحد الكتب أن "من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فأمامه الشيطان "فأدرك العرب ضرورة المعلم للتعليم ، وعبر الزرنوخي عن ذلك بقوله : يحتاج في التعلم إلى جد الثلاثة ، فالمتعلم والأستاذ والأب . وقد ظهر المعلم مع ظهور الإسلام ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول لمن دخلوا في الإسلام ، ثم غدا الصحابة من بعده المعلمين الأوائل ينشرون تعاليم وعلوم الدين الإسلامي مع فتوحاتهم .

وذكر ابن جماعة مجموعة من الصفات والخصائص التي يتصف بها المعلم ويجب أن يراعيها في نفسه وفي درسه وفي حلقة العلمية مع طلابه يمكن توضيحها على النحو التالي:

**** أدب العالم في نفسه ومراعات طالبه ودرسه**

- ١- دوام مراقبة الله تعالى في السر و العلانية والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وأقواله وأفعاله.
- ٢- أن يصون العلم كما صانه علماء السلف رضى الله عنهم.
- ٣- أن يتخلق بالزهد في الدنيا و التقليل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر نفسه أو بعياله .
- ٤- أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظاهر الأحكام كإقامة الصلاة.
- ٥- أن يحافظ على المندوبات الشرعية فيلازم تلاوة القرآن و ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وكذلك ما ورد في الدعوات والأذكار في الليل والنهار.
- ٦- معاملة الناس بمكارم الأخلاق في طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام وكظم الغيظ والسعي في قضاء الحاجة.
- ٧- أن يظهر باطنه تم ظاهر في الأخلاق الرديه الحسد والبغي و البعض والكبرياء والعجب والرياء والسمعة والبخل والحنث .
- ٨- دوام الحرص على الازيد بملازمة الجد والاجتهاد
- ٩- الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف مع تمام الفضيلة و كمال الأهلية فانه يطلع على حقائق الفنون ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة.

**** أدب العالم في درسه**

- ١- إذا عزم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث وتنظف وتطيب ولبس حسن ثيابة قاصدا بذلك تعظيم العلم وتمجيد الشرعية .
- ٢- أن يجلس بارزا لجميع الحاضرين .
- ٣- أن لا يطيل تطويلا يمل ولا يقتصر تقصيرا يخل ويراعى في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة .
- ٤- إذا تعدد الدروس قدم الأشرف منهم فالأشرف والأهم فالأهم.
- ٥- أن لا يرفع صوته زائدا على قدر الحاجة ولا يخفضه خفضا لا يحصل كمال الفائدة.
- ٦- أن يكون له نقيب كيس يرتب الحاضرين.
- ٧- أن يلزم الإنصاف في بحثه وخطابه ويسمع السؤال في مودة ولا يترفع عما سماعة فتحرم الفائدة
- ٨- مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور و تاخيرة إذا لم يكن فيه ضرر .
- ٩- أن لا يتصدر للتدريس إذا لم يكن أهلا له ولا يذكر التدريس في علم لا يعرفه.

* أدب العالم مع طلابه مطلقا وفي حلقته

- ١- أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى و نشر العلم وأحياء الشرح ودوام ظهور الحق و خمول الباطل.
- ٢- أن يرغبه في العلم وطلبه في اكثر الأوقات بذكر ما أعده الله للعلماء في منازل الكرامات.
- ٣- أن يحب لطلابه ما يحب لنفسه.
- ٤- أن يسمع بسهولة الإلقاء في تعليمه وحسن التلفظ .
- ٥- إذا فرغ الشيخ في شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة يمتحن به من فهمة وضبطهم لما شرح لهم
- ٦- أن يطلب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات و يمتحن ضبطهم بما قدم لهم.
- ٧- إذا سلك الطالب التحصيل فوق ما يقتضيه حاله وتحمله طاقته وخاف الشيخ اوصاه الشيخ بالرفق بنفسه.
- ٨- أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة واعتناء مع تساويتهم في الصفات.
- ٩- أن يسعى في مصالح الطلبة و جمع قلوبهم ومساعدتهم بما تيسر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك.

ثانياً المتعلم :

١- أحوال المتعلمين في مصر :

أ- الحرية العلمية للمتعلم :

لقد تمتع المتعلم بقدر كبير من الحرية العلمية التي ساعدت على ازدهار النشاط العلمي والثقافي في مصر الإسلامية ، وقد كانت أول مظاهر تلك الحرية هي حق المتعلم في اختيار من يتعلم على أيديهم من العلماء ، ويوضح ذلك الزرنوخي بقوله "وله وحده الحق في اختيار شيخه أو شيوخه الذين يرغب في التعلم عليهم" .

كما كان الطالب ينتقل بحرية من حلقة علمية إلى أخرى للدرس على من يريد من الشيوخ والعلماء ، وقد كان العالم المصري الليث لديه أربعة مجالس في المسجد الجامع ، أحدها لأصحاب الحديث والثاني للفتوى والثالث للفقهاء والرابع لشئون الدولة ، وكان طلابه يحضرون ما يبغون منها وقد ينتقلون من مجلس لآخر منها. (أمين ، ١٩٣٥ م ، ص ٦٦ ، ج ٢)

والفقيه القيرواني ابن سحنون حين كان طالباً للعلم في مصر عام ١٨٨ هـ اختار لنفسه علماء في الفقه وكان ينتقل من شيخ لآخر ليأخذ عنهم أفضل ما لديهم ، فقد أخذ عن كثير من العلماء وكان دائم الحضور لحقاتهم من صلاة الصبح حتى العشاء . (المالكي ، ١٩٥١ م ، ص ٢٤٩ ، ج ١)

من هذا يتضح تنقل المتعلمين من خلال حريتهم العلمية كان المساعد الأول على انتقاء هؤلاء الطلاب واختارهم لأفضل العلماء وأكثرهم ورعاً وأغزرهم علماً ومعرفة فيما يبغون دراسته من علوم ، وقد كان الطلاب يحرصون على حضور حلقات المحدث والفقهاء المصري "يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصوفي ت ٢٦٤ هـ" والذي انتهت إليه رئاسة العلم وعلوم الإسناد لما اشتهر عنه من سعته العلم وشدة الورع حتى أخذ عنه الحديث كل من مسلم والنسائي وابن ماجه من أصحاب السنن (السيوطي ، ١٢٩٩ هـ ، ص ٣٠٩ ، ج ١).

ومما يؤكد حرص طلاب العلم على اختيار أكفأ العلماء أن الفقيه "أحمد بن خليل" قال عن اختياره للتلمذة على يد الشافعي "ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخة حتى جالست الشافعي". (ابن خلكان ، ١٩٦٨ م ، ص ٤٥٦ ، ج ١).

لم تكن حرية المتعلم في اختيار شيوخه وعلمائه فقط ، بل كانت له الحرية كذلك في اختيار العلم أو العلوم التي يرغب في دراستها ، فكان طلاب العلم يتعلمون ما يشاءون وقتما يشاءون ، مثلما كان المعلمون يعلمون ما يرغبون . (ابن ظهيرة ، ١٩٦٩ م ، ص ١٩٢)

ولقد ساعدت الحرية العلمية لدى المتعلم في مصر على شيوع التنوع والشمول المعرفي لديهم ، حتى اتصف هؤلاء المتعلمين بما يكن تسميته تجاوزاً بالثقافة الموسوعية وقد أوضح ذلك صاحب تقييد العلم بقوله "وهناك الفقيه يجمع بين الحديث والرأي والمحدث كان فقيهاً". (البغدادي ، ١٩٤٦ م ، ص ١٨)

ظلت الثقافة الموسوعية هي سمة التعلم الأساسية لدى الطلاب حيث لم يظهر التخصص إلا بظهور عصور الدولة المستقلة . (صفي ، ١٩٧٨ م ، ص ٩٥)
ب- آداب المتعلمين في مصر :

بصفة عامة اتسم المتعلمون بصفات سامية تناسبت مع عقيدتهم في أن طلب العلم عبادة لأنه فريضة إسلامية ككل . الفرائض الإسلامية يجب ممارستها بإخلاص فكانت لوجه الله تعالى ولذات العلم مجردة بدون أغراض دنيوية فهم يتناولون نصيبهم من ميراث الأنبياء وقد ذكر الزرنوخي "وكفى بلذة العلم والفقهاء والفهم واعياً وبعثاً للعاقل على تحصيل العلم" فقد كان الليث بن سعد تلميذ العالم يزيد بن حبيب حين قد سطع نجمه العلمي طلبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لتولي أمانة مصر فاعتذر عنها حتى لا تشغله عن التعلم والتعليم . (الغزالي ، ب.ت ، ص ٤٩ ، ج ١)

كذلك كان على طالب العلم أن يتلقى العلم الواحد عن عدد من العلماء أو يتلقى عدداً من العلوم على معلم واحد وأن يشغل كل وقته في تلقي العلم وفي ذلك كان الزرنوخي يقدم النصح للطلاب بقوله "لطالب العلم أن يكون متأملاً في جميع الأوقات في دقائق العلوم ويكون مستفيداً في جميع

الأحوال والأوقات من جميع الأشخاص وينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته فإذا مل من علم يشتغل بعلم آخر".

وقد كان على طالب العلم أن يحرص على تعلم أكثر من علم وأن يبدأ بأهمها ويتدرج في دراستها حتى يحصلها جميعاً وهذا رأي الإمام الغزالي حيث قال : "..... أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على غايته وأن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم لا يجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً" فكان المتعلمون في مصر يتسمون بالجمع بين عدد من العلوم من فقه وحديث وعلوم اللسان والشعر وهذا ما كانت تضمه حلقات الإمام الشافعي من سائر طلاب العلم والمعرفة بجميع أنواعها وقتئذ ، كذلك قام عبد الله بن وهب تلميذ العالم الليث بن سعد بدراسة الحديث والفقه والرواية حتى نبع فيهم وصنف فيهم جميعاً . (الغزالي ، ب.ت ، ص ٥١، ٥٣ ، ج١)

وكان أولوية اختيار الطالب للعلوم التي يتعلمها تأتي تبعاً لقيمتها فقد رأى أهل الحديث أن لعلم الحديث الأهمية الأولى التي تساعد على تفسير وفهم نصوص القرآن من أجل استنباط الأحكام الشرعية واستخلاص العبر وهذا الذي ميز مدرسة الحديث في مصر وجعلها قبله أصحاب كتب السنن إليها للأخذ عن محدثيها . (سديرة ، ١٩٩١ م ، ص ٤٩)

وهكذا فإن الصفات والآداب الحميدة التي اتصف بها طلاب العلم في تلك الفترة من طلب العلم لوجه الله ورجاء ثوابه ، والحرص على اختيار كل من العلوم التي ينبغي على الطالب أن يدرسها ، والمعلمين الذين يرغبون في التعلم منهم ، وأن يكون حالهم دائماً الدأب المستمر على الدرس والتحصيل ، والتفرغ التام بطلبه متحملاً في ذلك كافة المشاق التي تقابله من رحلة أو من شطف العيش ، وأن يحترم الطالب أساتذته ، كل تلك الصفات كانت سبباً في تخريج الأساتذة التي اشتهرت بهم المدرسة المصرية العلمية في المسجد الجامع والتي غدت قبله أساتذة وطلاب العلوم المختلفة من أقطار العالم الإسلامي .

ويوضح لنا ابن جماعة بعض الخصائص والصفات والآداب التي يجب أن يتميز بها المتعلمين :

****أدبه في نفسه**

- ١- أن يطهر قلبه من كل غش وذنس وحسد وسوء عقيدة وخلق .
- ٢- حسن النية في طلب العلم بان يقصد به وجه الله والعمل به و إحياء الشريعة وتنوير القلب .
- ٣- أن يبادر شبابه و أوقات عمره حيث يقال العلم لا يعطيك بعضة حتى تعطيه كلك .
- ٤- أن يقسم أوقات ليلة و نهاره ويغتنم ما بقي في عمرة و أجود الأوقات للحفظ والبحث الإبداع وللكتابرة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل .

**** أدبه مع شيخه**

- ١- ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ويكتسب حسن الأخلاق.
- ٢- لا يخرج عن رأى شيخه و تدبيرة بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر.
- ٣- أن ينظره بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال فان ذلك اقرب إلي نفعه
- ٤- أن يصبر على جفوه شيخه أو سوء خلقه ولا يصدده .
- ٥- لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا بالاستئذان .
- ٦- أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المربي أو متربعا بتواضع و خضوع و سكون و خشوع .
- ٨- أن يدخل على الشيخ كامل الهيئة متطهر البدن والثياب نظيفهما.
- ٩- أن لا يكرر سؤال ما يعلمه ولا استفهام ما يفهمه فانه يضع الزمان ولا يحسن الإصغاء والفم .
- ١٠- أن لا يقطع على الشيخ كلامه ثم يتكلم ولا يتحدث معه أو مع جماعة المجلس ليكن ذهنه حاضر .

**** أدابه في درسه**

- ١- أن يحذر في ابتداء أمره في الانشغال في الخلاف بين العلماء .
- ٢- أن يلزم حلقة شيخه في التدريس والإقراء وجميع مجالسة .
- ٣- إذا حضر مجلس الشيخ سلم على الحاضرين بصوت يسمع جميعهم ويخص الشيخ بزيادة تحية.
- ٤- أن يتأدب مع حاضري مجلس الشيخ وإذا جاء القادم يرحبوا به ويوسعوا له ويتفصحوا له .
- ٥- لا يستحى في سؤال ما أشكل عليه وتفهم ما لم يعقله بتلطف وحسن خطاب وأدب .
- ٦- أن يرغب الطلبة في التحصيل .

**** الأدب مع الكتب وما يتعلق بتصحيحها وضبطها وحملها ووضعها**

- ١- أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها بما أمكن شراؤها أو إعارتها.
- ٢- إذا نسخ من الكتاب أو طالعة فلا يضعه على الأرض مفروشا بل يجعله بين شيئين أو على كرس الكتب المعروف .
- ٣- أن يتجنب الكتابة الدقيقة فان الخط علامة .
- ٤- لا بأس بكتابة الأبواب والتراجم والفصول بالأحمر فانه اظهر في البيان وفي فواصل الكلام .

**** في أدب سكنى المدارس .**

- ١- ينبغي للساكن بالمدرسة أن لا يكثر البروز والخروج من غير حاجة ويواظب على الصلاة مع الجماعة .

- ٣- أن يتعرف بشروطها ليقوم بحقوقها
- ٤- أن يكرم أهل المدرسة التي سكنها بإفشاء السلام و ظهور المودة والاحترام ويرعى لهم حق الجيرة والصحة و الأخوة.
- 5- أن يختار لجواره أن أمكن أصلحهم حالا وأكثرهم اشتغالا وأجودهم طبعاً ليكون معنيا له على ما هو بصدده .
- 6- أن لا يتخذ باب المدرسة مجلساً بل لا يجلس فيه إنا أمكن إلا لحاجة ولا في دهليز الطريق .
- ٧- أن لا ينظر إلى بيت أحد في مروره في شقوف الباب ولا يلتفت إليه أن كان مفتوحاً.
- ٨- أن يتقدم على المدرس في حضره وضع الدرس ولا يتأخر إلى بعد جلوس الجماعة .

**** تمويل التعليم وطبيعته**

إن تمويل التعليم في تلك الفترة لم يكن واضح المعالم، فلم تكن هناك سياسة تحكمه ، فإنه وعلى الرغم من مساهمات الحكام في نفقات التعليم إلا أنها كانت ضئيلة، بالقياس إلى مساهمات الأفراد ، مما يجعل التعليم يتصف بالصفة الشعبية في الغالب وهذا لا يعني أنه لم يكن للدولة دور في تمويل التعليم بل لقد ساهم التمويل الحكومي في نشر العلم و تعلمه وإن لم يكن في صورة منظمة أو تحت آلية معينة ، فلقد تعددت أوجه إنفاق الدولة على التعليم واختلفت أشكاله فمنها ما كان عن طريق الإنفاق على تأديب أبنائهم وقام الخلفاء بتعيين المؤدبين وتخصيص أجر لهم مقابل ذلك، وكانت تختلف هذه الأجور من خليفة لآخر ومن معلم لآخر، هذا بالإضافة إلى العطايا التي كان يقدمها الخلفاء للفقهاء والعلماء تشجيعاً لهم وإعانتهم على التفرغ لهذه المهنة العظيمة فقبوا إليهم الشعراء والأدباء وأغدقوا عليهم الهبات والجوائز فساعد هذا الأمر إلى انشغال الكثيرين منهم إلى الاهتمام بالشعر وقوله ، هذا ولقد حظيت مؤسسات التعليم بنصيب وافر من قبل الدولة فقام خلفاء ببناء المساجد والجوامع وتهيئتها لطلاب العلم وكذلك قاموا ببناء بعض الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين الفقراء الذين لا يقدر على الانضمام إلى المكاتب الخاصة. ولقد ساعد الطلاب على تمويل التعليم وذلك بقيامهم بالنفقة على أنفسهم وتحمل تكاليف التعليم أما من كان لا يستطيع تحمل نفقات تعلمه فإنه كان يجمع بين الدراسة والعمل، أو على الهبات والصدقات التي كان يقدمها أهل الخير شعوراً منهم بالمسؤولية اتجاه نشر هذا العلم وتعلمه راجين بذلك ثواب الدنيا والآخرة قاصدين به وجه الله تعالى ، وهذا العمل جعل منهم مصدراً مهماً من مصادر تمويل التعليم بالإضافة إلى الأوقاف والتي خدمت العملية التعليمية خدمة عظيمة وذلك في كونها مصدراً تمويلياً ثابتاً .

* مصادر تمويل التعليم

أولاً: الإنفاق الحكومي

لم تكن في تلك الفترة آلية خاصة تحكم الإنفاق الحكومي على التعليم " فعلى الرغم من مساهمات الحكام في نفقات التعليم إلا إنها كانت ضئيلة بالقياس إلى مساهمات الأفراد مما يجعل التعليم يتصف بالصفة الشعبية في الغالب " (عبد العال ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧٧) فالدولة لم تتبن نظاماً واضحاً لتمويل التعليم وإدارته . فلم يكن هناك إلا بعض العطايا والجوائز التي كان يعطيها الخلفاء للعلماء وطلاب العلم وتتفاوت في مقدارها من شخص لآخر ومن خليفة لآخر .

إذا فالتمويل الحكومي لم يكن مقنناً ومنظماً بالنسبة للتعليم ولعل ذلك يرجع لعدة أسباب :

١- اعتبار العلم وطلبه واجبا دينيا خصوصاً وأن العلوم المنتشرة في تلك الفترة كانت علوماً دينية بحتة فقد كان الخلفاء " يرون أنه يجب على الفرد القيام به ، من منطلق إيماني يدفعه لذلك ولعل هذا ما يبرر الصبغة الشعبية التي اصطبغ بها التعليم " (الرفاعي ، ب.ت ، ص ٧٥)

٢. أن العلماء في تلك الفترة كانوا يرون عدم جواز أخذ أجر على التعليم وخاصة تعليم القرآن الكريم مستندين بذلك على أحاديث جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم تنهي عن أخذ الأجر على القرآن الكريم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه وأرضاه أنه قال : " علمت أناساً من أهل الصفة الكتاب والقرآن فأهدى إلي رجل منهم قوساً فقلت ليس بمال وأرمي بها في سبيل الله عز وجل ؟ لأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألته ، فأتيته فقلت يا رسول الله رجل أهدى إلي قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن وليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله قال: إن كنت تحب أن تطوق من نار فاقبلها " . (أبو داود ، ١٣٩١ هـ ، ص ٧٠١)

٢. مجالات الإنفاق على التعليم ، اتخذ إنفاق الدولة على التعليم عدة أشكال منها :

١- النفقة على تأديب أولاد الخلفاء

اهتم الخلفاء ، بتربية أبنائهم تربية تخولهم للخلافة ومن منطلق هذا الاهتمام قاموا بجلب المؤدبين لتفقيه أبنائهم و عملوا على إكرام هؤلاء المؤدبين وتوفير كل وسائل الراحة لهم حتى يتفرغوا لأبناء الخليفة فأغدقوا عليهم العطايا والأجور و قاموا بتسديد الديون عنهم بل وخصصوا لهم أماكن يسكنون فيها في قصورهم وكل ذلك حتى يتفرغوا للتعليم والتأديب ولا يشغلهم شيء عن ذلك وقد كانت تتفاوت أجورهم من خليفة لآخر بل كان البعض يرفض أن يأخذ أجراً على تعليم القرآن كما حدث مع إسماعيل بن المهاجر مؤدب أولاد عبد الملك بن مروان حيث قال عنه عبد الملك : عندما رفض اخذ

الأجر على التعليم " إنني لست أعطيك أو أثيبك على القرآن ، إنما أعطيك أو أثيبك على النحو " . (ابن عساكر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٤٣٧ ، ج ٨) .

وقد اعتاد بعض الخلفاء على أن يسمى الأجر للمؤدب بعد أن يوصيه فهذا هشام بن عبد الملك أوصى لمؤدب ولده سليمان الكلبى ألف دينار كل شهر . (ابن عساكر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٣٣٢) .
وكانت تتفاوت أجور المؤدبين من شخص لآخر فهذا حماد الراوية المؤدب فقد أعطاه هشام بن عبد الملك خمسمائة دينار وحماً مهرياً يسير عليه عشرة ليلة " (الاصفهاني ، ب.ت ، ص ٧٥) .

٢- أجور ومكافآت العلماء والفقهاء

اهتم الخلفاء بالعلماء والفقهاء وقربوهم وقاموا بإكرامهم وكانوا يستشيرونهم في كثير من شؤونهم وكانوا يجزلون لهم العطايا والصلوات ويكافئونهم بالجوائز والهبات " سئل عطاء بن مسلم الخرساني : من أين معاشك ؟ فقال : " من صلة الإخوان وجوائز السلطان " . (ابن عساكر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٤٣٤) ، وما فعله عبد الملك بن مروان مع الإمام الزهري عندما أجابه عن مسألة سأله إياها فأمر له بجائزة ، ورزق يجري ، وشراء دار له وقال له : " اذهب فاطلب العلم ولا تتشاغل عنه فاني أرى لك عيناً حافظة ، وقلباً نكياً " . (ابن عساكر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٣٠٣)

وقد اتخذت هذه الهبات والعطايا عدة أشكال فمنها ما كان مباشراً مكافأة واجر على التعليم ومنها ما كان غير مباشر كنوع من المساعدات . وبما أن بعض العلماء كان يرفض الأجر إلا أنه كان يقبل المساعدات غير المباشرة فقد قبل الزهري من الخليفة عبد الملك بن مروان أن يسدد عنه دين والده حيث قال عبد الملك : كم دين أبيك ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد قضى الله دين أبيك " . (ابن عساكر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٣٠٢)

وروي أن الوليد امتحن شخصاً في قراءة القرآن وقضى عنه دينه مكافأة له على حفظه وقال له : " نقضي دينك وأنت أهل لذلك " . (الاندلسي ، ١٣٧٥ هـ ، ص ٤٢٤)

تقول ملكة " إن هناك فئات عديدة من المجتمع الإسلامي في القرن الأول الهجري كانت تتمتع بعطاء يساعدها على الانصراف لأموال التعليم . (ابيض ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٣٤)

ولقد اهتم الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز بالعلم والعلماء اهتماماً بالغاً في خلافته " فقد أدى عمر واجبه في نشر التعليم خير أداء ، ونظراً لأن العطاء كان قد أوقف عن غير المحاربين ، طلب من ولاته أن يعطوا العلماء من بيت المال لينصرفوا إلى التعليم في المساجد " . (ابيض ، ١٩٨٠ م ، ص ١٤٠)

كان ذلك واضحاً في وصاياه إلى ولاته وعماله في جميع أرجاء الدولة الإسلامية فقد أمر والى حمص بقوله " انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقهاء ، وحبسوها في المسجد عن طلب العلم فأعط كل واحد منهم ماله دينار ، يستعينوا بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابي

هذا وإن خير الخير أعجلة والسلام عليك". (ابن الجوزي ، ١٤٢٠هـ ، ص ٨٦) . وإن هذا الفعل ليس مستغرباً من خليفة عالم كان طول حياته يطلب العلم وينشره فهو أدري من غيره بحال طالب العلم وكيف أن طلب العلم يحتاج إلى مؤونة وتفرغ . وروى عنه أيضاً قوله لأحد ولاته " مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يعينهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث ". (ابن الجوزي ، ١٤٢٠هـ ، ص ٩٢)

وقد كان العطاء يختلف من خليفة إلى آخر فلم يكن ثابتاً " فقد كان يزيد بن عبد الملك يجري على رجاء بن حيوة ثلاثين ديناراً في كل شهر فلما ولى هشام الخلافة قال : ما هذا برأى ، فقطعها ، فرأى هشام أباه في النوم، فعاتبه في ذلك ، فأجراها " . (الذهبي ، ١٤٠٦هـ ، ص ٥٥٩)
فنحن نرى من خلال هذه الشواهد اهتمام الدولة بالتعليم ونشره والعمل على توفير الجو الملائم لطلبة وعلمائه وقد تعمل على توفير الجو الملائم لصاحب هذا العلم ليتفرغ له دون سواه فقد بدا ذلك واضحاً من وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده بقوله " وإذا أعطيتم فأعطوا حملة القران وحملة العلم وأهل الفصل ". (السجستاني ، ١٩٦١م ، ص ١٣٧)

٣- هبات الخلفاء للشعراء والأدباء

اهتم الخلفاء بالشعر والشعراء وأغدقوا عليهم الهبات والجوائز "وساعد اهتمام الخلفاء بالشعر على الصراف الكثيرين إلى قول الشعر وحفظه وروايته" (ابيض ، ١٩٨٠م ، ص ٤٥٤)
فقد كان عبد الملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل وبفضله في الشعر على غيره . (الذهبي ، ١٤٠٦هـ ، ص ٥٨٩) وكذلك الوليد "استقبل الشعراء واستمع إليهم وأجازهم بسخاء " (ابن عساکر ، ١٤١٨هـ ، ص ٢١٢) .

وقد كافأ الوليد الشاعر حماداً الراوية عندما أعجب معرفته بالشعر ودرايته بها فقد قيل "أن الوليد سأله : لم سميت الراوية؟ قال: لأنني أروي لكل شاعر تعرفه ، وكل شاعر تعرف انك يا أمير المؤمنين لا تعرفه ، وأنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة للجاهلية ، فيقال : إنه وكل به من يستنشدته حتى سرد ألفين وتسعمائة قصيده ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقيل أن هشام بن عبد الملك أعطاه مئة ألف " . (الذهبي، ١٤٠٦هـ، ص ١٥٨)

وقد كان الخلفاء يضعون الجوائز لأفضل الشعراء ويختبرون أداءهم وكانت تعقد مناظرات في ذلك فيحكى أنه "دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك يمدحه وعنده الشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل فسأله عبد الملك عن أهجى بيت قالته العرب وعن أمدح بيت وأرق ما قالته العرب فقال أنها كلها لجرير ولم يكن هذا الأعرابي يعرف الشعراء الثلاثة فقال جرير : جائزتي يا أمير المؤمنين له وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من حملان وكسوة فقال عبد الملك وله مثلها من بيت المال وخرج الأعرابي وفي يده ثمانية آلاف درهم ورزمة ثياب. (ابن كثير ، ١٤١٨هـ ، ص ٢١٩)

وقد كان بعض الخلفاء يكلف غيره في سماع الشعر والمكافأة عليه ويدل على ذلك ما فعله مروان بن محمد حيث "كلف عريف في مقره في حران وكان في هذا العريف يستمع إلى الشعراء ويجازي المحسن منهم" (ابيض ، ١٩٨٠م ، ص ١٥٦)

ولقد دلت النصوص الكثيرة من خلال الصلات لأولئك الأدباء والشعراء أنها كانت من بيت المال بالإضافة إلى ما يقدمه الخلفاء لهم من أموالهم الخاصة.

٤- النفقة على المؤسسات التربوية

١. الإنفاق على الكتاتيب

ونقصد بذلك الكتاتيب العامة أو كما تسمى مكاتب السبيل- والتي كانت تقيمها الدولة وتشرف عليها بعكس المكاتب الخاصة التي يقيمها المعلمون .

ولقد أبدى الخلفاء اهتماما بالغاً بهذا النوع من المكاتب وذلك لتعليم أبناء المسلمين الفقراء والمعوزين الذين لا يقدرّون على الانضمام إلى المكاتب الخاصة ، ومما يدل على إشراف الدولة على تلك الكتاتيب أن الوليد بن عبد الملك جاءه رجل و سأله قضاء دينه فقال له الوليد : نعم إن كنت مستحقاً لذلك ثم قال له اقراءت القرآن ؟ قال: لا ، فقال : الوليد صاحب الكتاب ضم إليك هذا فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن " . (الطبري ، ب.ت ، ص ٩٧)

"ولقد تعهد الوليد بن عبد الملك بالأيتام وكفلهم ورتب لهم مؤدبين ورتب له ولاء الأرزاق المنظمة " . (الذهبي ، ١٤١٩هـ ، ص ٥٠٠) كما أن يزيد بن عبد الملك أمر بحمل رجل جاهل إلى الكتاب ليتعلم فيه القرآن . (العواجي ، ب.ت ، ص ٥٢٢)

ويرى الباحث إن هذه النصوص تؤكد إشراف الدولة على الكتاتيب من بيت مال المسلمين لأنها لأولاد المسلمين عامة والتعليم من مسؤولية الدولة

٥- الإنفاق على تدوين العلوم

لقد كان عصر بني أمية هو بداية عصر التدوين وأكبر حدث ظهر في هذا المجال هو تدوين الحديث الشريف وقد كان بإشراف الدولة على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أدرك ضرورة ذلك العمل لعدة أسباب :

أ- زوال أسباب الكراهية للكتابة فأصبح التمييز بين القرآن والحديث أمراً معروفاً .

ب- الخشية من ضياع الحديث لسبب موت كثير من حفاظ الحديث ورواته.

ج- ضعف ملكة الحفظ وإهمال الحفظ بمرور الوقت .

د- ظهور الوضع وكثرة الابتداع بسبب الخلافات السياسية والمذهبية. (محاسنة ، ٢٠٠١م ، ص ٧١)

وكان أكثر من ساهم في كتابة الحديث وتدوينه الإمام الزهري، فقد اختاره الخليفة بحكم إقامته في دمشق عاصمة الخلافة و قال الزهري في ذلك "فكتبناها - أي الأحاديث - دفترًا دفترًا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا". (القرطبي، ب.ت، ص ٧٦)

هذا بالإضافة إلى استقباله العلماء في دمشق لسماع الأحاديث التي يعرفونها و تدوين بعض الأحاديث عنهم . (ابيض ، ١٩٨٠م ، ص ١٣١)

دخل على عمر بن عبد العزيز أبو برده ابن أبي موسى الأشعري" فقال له عم حدثنا بأحاديث أتتك عن رسول الله ، فيحدثه ، فدعا عمر بن عبد العزيز بقرطاس ودواة ، فكتب حديثًا وسجل اسم المحدث " (ابن عساکر ، ١٤١٨هـ ، ص ١٣٤)

ولقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى كل الأمصار بقوله: "انظروا حديث رسول الله فاجمعوه" (ابن عساکر ، ١٤١٨هـ ، ص ٤٤) ، ولا شك أن عملية تدوين الحديث بصفة رسمية من قبل الدولة كانت مكلفة مالياً وإن النفقة عليها من بيت المال تحتاج إلى أوراق وأحبار وأقلام وأجور العلماء القائمين على هذه العملية ، خاصة وأن الورق الذي كتب عليه كان هو ورق البردي وكان غالي الثمن لا يستطيع الأفراد العاديون الحصول عليه ولا يستعمل إلا من قبل المسؤولين والإداريين الخاضعين للدولة.(العواجي، ب.ت، ص ٥٠٩)

وكانت تتحمل الدولة أيضا نفقات قدوم هؤلاء العلماء من بيت مال المسلمين ويدل على ذلك قصة أبي سلام الحبشي مع عمر بن عبد العزيز : "حيث بعث إليه عمر فحمل على البريد. فلما قدم على عمر قال: يا أمير المؤمنين ، لقد شق على محمل البريد ، ولقد أشفقت على رحلي ، فقال عمر : ما أردنا بك المشقة يا أبا سلام ، ولكن بلغني عنك حديث ثوبان مولى رسول الله في الحوض فأحببت أن أشافهك به ، فروى أبو سلام الحديث " (ابن عساکر ، ١٤١٨هـ ، ص ٢٦٤) ، والشاهد من ذلك هو أن عمر بن عبد العزيز حمل أبا سلام على حمل البريد الذي ينفق عليه من بيت مال المسلمين .

هذا بالنسبة للحديث ولقد ظهر تدوين للعلوم الأخرى وكان متواضعا وخصوصاً بالخلفاء فقط ولمكتباتهم فقد طلب معاوية بن أبي سفيان من عبيد بن شرية الجهمي أن يكتب له عن تاريخ العرب مكتب له كتانا اسماه كتاب الملوك وأخبار الماضين.(ابيض ، ١٩٨٠م ، ص ٣٣)

٦- الإنفاق على الترجمة

لقد شجع الأمويون الترجمة ولقد ظهرت بوادرها في ذلك العصر و يعتبر المؤرخون أن العصر الأموي كان هو البذرة الأولى لازدهار وظهور الترجمة في العصر العباسي فقد مهلت وسهلت السبيل له وأكبر دليل على ذلك أن أول من قام بترجمة كتب الطب والكيمياء هم خالد بن يزيد (الجاحظ ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٦٧) وحدث في عهد عبد الملك بن مروان تعريب الدواوين (ابن الأثير ، ١٤٢٥هـ ، ص ١٥٠) وفي عهد عمر : من عبد العزيز استقدم الأطباء غير العرب وأمر عمر بترجمة كتبهم

فقد قام الطبيب ماسرجويه بترجمة كتاب أهران القس في الطب وقام عمر بن عبد العزيز بإخراجه إلى المسلمين لينتفعوا به، بعد أن استخار الله في إخراجه (أمين ، ٢٠٠٦م ، ص ١٥٤) "وكان الإنفاق على الترجمة وما تستلزمة من أوراق وأقلام وأحبار في العصر الأموي من بيت المال فضلاً عن المكافآت التي يتحصل عليه المترجمون من الخلفاء" (العواجي، ب.ت، ص ٥١٥)

ثانياً : إنفاق العلماء

لقد أسهم العلماء بتمويل التعليم مساهمة كبيرة ولقد اتخذ تمويلهم للعلم وطلابه عدة أشكال منها :

١ - العمل التطوعي

فقد تحدثنا سابقاً عن موقف بعض العلماء الذين رفضوا اخذ اجر على تعليمهم واحتسبوه لوجه الله تعالى : " فقد كانوا ينظرون إلى العمل في التعليم نظرة تعبدية خالصة ، حيث كان العلماء يؤدون أعمالهم في صدر الإسلام طلباً للثواب من الله قد فلم تدفع لهم الدولة مرتبات ". (احمد ، ١٩٧٤م ، ص ١٢٠)

وكانوا يطبقون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر العلم وأن من كتبه يتعرض للوعيد الشديد قال صلى الله عليه : " من سأل عن علم فكتبه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة". (أبو داود ، ١٣٩١هـ ، ص ٦٨)

فقد شهدت مساجد الشام الكثير من حلقات العلم التي تحوي علماء نذروا أنفسهم للتعليم التطوعي إحتساباً للأجر والثواب وخاصة العلوم الدينية ، فقد كان بعض العلماء يرفضون الأجر حتى من الدولة ويدلنا على ذلك " ما فعله يزيد بن أبي مالك الدمشقي عندما أرسله عمر بن عبد العزيز إلى البدو ليفقه الناس وأجرى عليه الرزق ولكن لم يقبل ". (ابن الجوزي ، ١٤٢٠هـ ، ص ٦٩)

وتعدى الأمر إلى رفض بعض العلماء قبول حتى الهدايا من الطلاب مقابل التعليم فقد رفض الإمام الأوزاعي هدية من رجل جاء يسمع حديثه ، وقال : " إن شئت قبلت هديتك ولم تسمع مني حرفاً وإن شئت فاقبض هديتك واسمع ". (الذهبي ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٣٢) ، وهذا "عطاء يجلس مع المساكين يعلمهم ، ويروي لهم الحديث " (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٤٣١) ، فقد كان علماء السلف لا يريدون جزاء إلا من الله سبحانه وتعالى .

وبما أن بعض العلماء كان يقوم بالتعليم التطوعي فإنه بذلك يحتاج إلى مصدر آخر لكسب رزقه وكان ذلك عن طريق العمل بالإضافة إلى التعليم تقول ملكة " إن معظم العلماء كانوا يعانون من عدم استقرار مواردهم المالية ، ومن التبعة للأصدقاء أو السلطان والتخلص من هذه الظروف فضل بعضهم كسب قوته بالعمل في مجالات التجارة أو الحرف ، كما لصحوا طلابهم بإتباع ذلك . (ابيض ، ١٩٨٠م ، ص ٣٤٠)

فقد قال أبو قلابه لأحد طلابه " إياك وأبواب السلطان .. والنزم سوقك فإن أعظم العافية الغني عن الناس " . (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٣٠٤) والمقصد من ذلك هو أن يستغلي المرء عن أموال الناس ، ولهذا فقد مارس الكثير من العلماء المهن التي تؤمن لهم العيش وتساعدهم على التعليم والتعفف عما في يدي الناس فقد كان القاسم بن مخيمرة (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٢٠٩) تاجرا بدمشق ، فقد روي عنه أنه " دخل على عمر بن عبد العزيز ففرض له وأمر له بـغلام فقال : الحمد لله الذي أغناني عن التجارة " . (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٢٠٦)

إذا فقد برز العلماء كمصدر من مصادر تمويل التعليم من خلال العمل التطوعي و من خلال إنفاق الموسرين منهم على طلبه العلم ، ومن خلال جمع الأموال من الخلفاء و توزيعها على طلابهم .

٢- إنفاق العلماء على طلبه العلم:

لقد كان للمعلمين دور بارز في تمويل التعليم بالإضافة إلى عملهم التطوعي وتورعهم عن أخذ أجر من الدولة أو من الطلاب عمد البعض منهم إلى الإنفاق على طلبه العلم ومساعدتهم .

قال أحد طلبه الزهري " إن حديثك ليعجبني ، ولكن ليست معي نفقة فأتبعك، قال : اتبعني أحدثك وأنفق عليك " . (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٣٧٩)

" فروى عنه أنه كان يخرج للأعراب يفقههم ويطعمهم وجاءه أعرابي وقد نقد ما في يده، فمد الزهري يده إلى عامة - عقيل - فاخذها من رأسه وأعطاها الرجل وقال : يا عقيل أعطيك خيراً منها " . (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٣٧٨)

كما أسهم العلماء في مساعدة طلابهم من خلال تلقي الأموال من الحكام وتوزيعها عليهم " فروى عن مكحول أنه كان يقبل أعطيات السلطان ثم يقوم بقسمتها بينه وبين طلبته فأعطي مرة عشرة آلاف دينار ، فوزع القسم الأكبر منها بين طلابه فكان يعطي الرجل منهم خمسين ديناراً ثمن الفرس " . (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٢٢٤)

وكان العلماء يشركون طلبتهم طعامهم وشرابهم عند تحديثهم فقد كان ابن شهاب إذا أبي أحد من أصحاب الحديث أن يأكل طعامه حلف أن لا يحدثه عشرة أيام . (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ٣٧٩)

فلقد ضرب علماء تلك الفترة أروع الأمثلة في الكرم وتفقد تلاميذهم و البذل لهم بما يملكون من مال وطعام في سبيل اتخاذ الفرصة لهم لطلب العلم حتى عدوهم مثل أبنائهم، فعن سعيد بن عبد العزيز قال : "كنا عند مكحول كبعض ولده" . (ابن عساكر ، ١٤١٨هـ ، ص ١٩٨)

ثالثاً : إنفاق الطلاب

" لقد أدى حرص الطلبة على طلب العلم إلى بروزهم كمصدر من مصادر تمويل التعلم ، وقد برز إسهام الطلاب في تمويل التعليم من خلال أشكال متعددة مثل : الجمع بين الدراسة والعمل في إحدى المهن للاتفاق على أنفسهم ، أو من خلال إنفاق الطلاب على أنفسهم من الأموال التي ورثوها ")

الرفاعي ، ب.ت ، ص ١٦٣) حيث يوضح ذلك الزرنوخي بقوله " فمن كان له ماليستعين به على تحصيل العلوم فانفق كله في العلم والفقهاء اي تحصيلهما بشراء الكتب و إعطاء الاجرة للتعلم .

فلقد كان طالب العلم في تلك الفترة يتحمل عبء ، ومسئولية تلقيه التعليم فقد كان يتحمل جميع تكاليف تعليمه وأجور معلميه ورحلته في طلب العلم فقد كان بعض الطلاب ميسوري الحال يستطيعون تكفل نفقات تعليمهم من مالهم الخاص فقد كان أبناء الأمراء والخلفاء وأصحاب النفوذ يدفعون تكاليف مؤديهم من مالهم الخاص وهذا خالد بن يزيد الذي درس الطب والكيمياء على حسابه الخاص.

وكان بعضهم ينفق على نفسه من مال تركه له والده أو أحد ورثته فعن إسماعيل بن عياش قال : " ورثت من أبي أربعة آلاف دينار فأنفقتها في طلب العلم " (الذهبي ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٣١٥) وهذا بالنسبة للموسرين من طلبه العلم أما غيرهم فقد كان يضطر إلى العمل لكي ينفق على تعليمه وقد رأينا كيف نصح أبو قلابة أحد طلابه بالعمل بقوله " وألزم سوقك فإن أعظ العافية الغني عن الناس " (ابن عساكر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٣٠٤)

"فقد كان الكثير من طلاب العلم يمارسون مهنة أخرى يعيشون منها وينفقون على طلب العلم إذ لا يتعارض العمل وطلب العلم ويرى ابن حجر على أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معيشتة ليستعين على طلب العلم وغيره" . (الرفاعي ، ب.ت ، ص ٨٢)

رابعاً: الإنفاق من الهبات والإعانات

تعريف الهبات والإعانات

وتعرف الهبة " بأنها تملك عن على غير عوض معلوم في الحياة وتطلق على الشيء الموهوب وتطلق على أعم من ذلك" . (الصنعاني ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٨٩) ويراد بالهبة : "التبرع والتفضل على الغير سواء كان مال أو بغيره (سابق ، ١٣٩١ ، ص ٥٣٥) ولقد كان للهبات والصدقات دوراً في مجال تمويل التعليم وذلك لأن التمويل الحكومي لم يكن منظماً وكافياً بالنسبة للتعليم وكان متواضعاً نوعاً ما عما في العصور التي تليه فقد كانت أجور المعلمين غير ثابتة وغير كافية أحياناً وقد كان كثير من العلماء لا يقبلها تورعاً ولكن الهبات كانت تلقي قبولاً منهم لأنها نوع من الهدية وقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم الهدية فقبولها لم يكن موضع خلاف بينهم فهم يتفقون على قبولها.

وقد كانت بعض الهبات تعطي من قبل الدولة وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً . وكانت تعطي من بيت مال المسلمين وأحياناً من مال الخليفة الخاص ولم تقتصر على الخلفاء بل تعدتها إلى أهل الخير من عامة الناس والموسرين منهم ، فقد سئل عطاء عن مصدر معاشه فقال " من صلة الإخوان وجوائز السلطان " . (ابن عساكر ، ١٤١٨ هـ ، ص ٤٣٤)

ولم تكن الهبات خاصة بالمعلمين بل تعدته إلى طلاب العلم فقد كان أهل الخير يتعهدون برعاية ونفقة من يرون أن له رغبة ونجاجة في التعليم فعن الأوزاعي قال : " مات أبي وأنا صغير ، فذهبت ألعب مع الغلمان ، فمر بنا فلان - وذكر شيخاً جليلاً من العرب - ففر الصبيان حين رأوه ، وثبت أنا ، فقال : ابن من أنت ؟ فأخبرته فقال : يا ابن أخي ! يرحم الله أباك ، فذهب بي إلى بيته فكنت معه حتى بلغت ، فألحقني في الديوان ". (الذهبي ، ١٤٠٦ ، ص ١١٠)
إذاً فقد كانت الهبات مصدراً رئيسياً من مصادر تمويل التعليم ولكن لعدم ثباتها وإستمراريتها جعل الاعتماد عليها أمراً في غاية الصعوبة ، نظراً لعدم وجود نظام واضح أو آلية معينة تحكمها إلا ما تجود به النفوس وهو الشيء الذي يتفاوت من شخص لآخر ومن وقت لآخر لذات الشخص " . (الرفاعي ، ب.ت ، ص ٨٩)

خامساً: الإنفاق من الوقف :

ويعرف الوقف بأنه : " حبس مالك مألّه المنتفع به مع بقاء عينه عن التصرفات برقبته، وتسبيل منفعته على شيء من أنواع القرب ابتغاء وجه الله " (البسام ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٥٠)
ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الوقف فقال : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ". (مسلم، ١٣٩٢ ، ص ٨٥)
فهو أفضل الصدقات التي حث الله عليها لأنه صدقة دائمة ثابتة وهذا الفضل المترتب عليه إذا كان وقفاً شرعياً مقصوداً به وجه الله تعالى، موجّهة مصارفه إلى وجوه البر والإحسان من بناء المساجد ، والإعانة على علم نافع ، والدعوة إلى الله أو المشاريع الخيرة ، وصرفه إلى ذوي القربى والفقراء والمساكين ، ومساعدة أهل الخير والصلاح على طاعة الله تعالى "(البسام، ١٤١٤، ص ٢٥٠)
" فلقد استطاع الوقف خلال التاريخ الإسلامي أن يتحمل المسؤولية في إقامة نظام تعليمي فكان عصر العلم والعلماء الزاهر واحداً من منتجات نظام الوقف في تاريخنا الإسلامي " (قحف ، ١٤١٩هـ ، ص ٦٦) ، "وإن جميع المساجد في الإسلام تأخذ حكم الوقف" . قحف ، ١٤١٨هـ ، ص ٤٢٠)
"وقد كان رواد المسجد ، وبالذات طلبة العلم منهم من أكثر شرائح المجتمع استفادة م من ربح الأوقاف، فالمساجد التي يتعلمون فيها ، وجميع مرافقها ، ومعظم خدماتها كانت من نوع الوقف الخيري ، مما وفر على طلبة العلم دفع رسوم لقاء دخولهم إليها واستفادتهم من خدماتها " . (السفياني ، ١٤٢٤هـ ، ص ١٦٢)

المراجع

- ١- ابن عساكر ، أبو القاسم علي ابن الحسن بن هبة الله الشافعي (١٤١٨ هـ) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن عرامة العمرى ، دار الفكر بيروت.
- ٢- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج ، (١٤٢٠ هـ) ، سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ط١ ، دار الفجر للتراث ، القاهرة .
- ٣- ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، (١٤٢٥ هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٤- أبو سديرة ، السيد طه ، (١٩٩١ م) ، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، هيئة الكتاب ،
- ٥- ابن ظهيرة ، (١٩٦٩ م) ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، ج٢ تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب .
- ٦- ابن خلكان ، أبو العباس احمد ، (١٩٦٨ م) ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ح ٣ ، دار الثقافة ، بيروت .
- ٧- ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم ، (١٣٥٣ هـ) ، تذكرة السامع والمتعلم في أدب العالم والمتعلم ، حيدرآباد ، الهند .
- ٨- أبو داوود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، (١٣٩١ هـ) ، سنن أبي داوود، ط١، دار الحديث ، بيروت ، لبنان .
- ٩- ابيض ، ملكة ، (١٩٨٠ م) ، التربية والثقافة العربية الإسلامية فى الشام والجزيرة ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ١٠- ابن كثير ، أبي الفداء ، (١٤١٨ هـ) ، البداية والنهاية ، إعداد: يوسف الشيخ ومجد البقاعي ، دار الكتبة العلمية ، بيروت .
- ١١- سابق ، سيد ، (١٣٩١ هـ) ، فقه السنة، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- ١٢- عبد العال ، حسن إبراهيم ، (١٩٧٨ م) ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، القاهرة ، دار الفكر العربي .
- ١٣- محاسنة ، محمد حسين ، (٢٠٠١ م) ، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ، ط١ ، دار الكتاب الجامعي ، العين .
- ١٤- البغدادي ، الخطيب ، (١٩٤٦ م) ، تقييد العلم ، تحقيق يوسف العشري ، المعهد الفرنسي ، دمشق .

- ١٥- البسام ، عبد الله بن عبد الرحمن ، (١٤١٤هـ) ، توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، ط٢ ، مؤسسة حبيب درغام وأولاده ، لبنان .
- ١٦- الذهبي ، شمس الدين محمد ، (١٤٠٦هـ) ، سيرة أعلام النبلاء ، ط٤ ، الرسالة ، بيروت .
٢٣٩- الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الأمير اليمني ، (١٤٠٧هـ) ، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، ط٤ ، دار الكتاب العربي . بيروت .
- ١٧- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، (ب.ت) ، تاريخ الملوك والأمم ، طبع على نفقة السيد محمد الخطيب وشركاه .
- ١٨- القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري : (د . ت) ، تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الشعب .
- ١٩- أمين ، أحمد ، (١٩٣٥ م) ، ضحى الإسلام ، النهضة المصرية ، القاهرة .
- ٢٠- أمين ، احمد ، فجر الإسلام (٢٠٠٦م) ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا .
- ٢٧٥- المالكي ، أبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله (١٩٥١ م) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقيا وزهادهم وعبادهم ونسبهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، النهضة .
- ٢١- صفى على محمد ، (١٩٧٨ م) ، الحركة الأدبية والعلمية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأخشيدية ، رسالة ماجستير ، كلية البنات ، جامعة عين شمس .
- ٢٢- السفيني ، صالحة بنت حاي بن يحيى ، (١٤٢٤هـ) ، التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .
- ٢٣- العواجي ، حسين هادي محمد ، (ب.ت) ، النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي ، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .